

فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

« ولا سيما » المصرية

مذهب جديد صالح

اختلف علماء العربية في جملة « ولا سيما » اختلافا كبيرا فأجازوا رفع الاسم الذي بعدها ونصبه وجزه . وهذا اضطراب لالالباب الطلاب والكتاب واغتراب عن الصواب . لانه لو جازت انواع الاعراب الثلاثة لكان الكلام عن « ولا سيما » ابتر اي لا خير فيه . ولان تسيير على مذهب واحد واطراد واحد متعبرين صحة التمييز والتفسير والتقدير خير من ان نركض نحو تبليط العلماء كالركض نحو انسراب يؤيد خطأه ويزيد خطأه . ولذلك اقول : ان جميع بعض العلماء في « ولا سيما » متناقضة وفي اتباع المتناقض تجوز الاضداد دلالة على قعدان الصواب . ومن سوء حظنا ان « ولا سيما » جاءت في الشعر قبل النثر ومن وضعها في النثر اقتدى بالشعر متغاضيا عن صحة وضعها وترتيب اجزائها وايضاح معناها غافلا عن ان وزن الشعر واقتضاب المعنى وتغيير اللفظ ويعثره تضطر الشاعر الى الخضوع لها فاضف دليل عندي ذيل وارد في الشعر مخالفا للنثر المؤيد . فان امثال ذلك الدليل هي التي بعثت لغة العرب وبعثت قواعدها . والعجيب الغريب ان (احد اعضاء المجمع العلمي) في دمشق نشر بحثا زخارا موارعا عن « ولا سيما » وعند استدلاله على جواز تخفيف الياء المشددة من « سي » اتى بها في آخر المضارع الاول في احدى الايات . ولكنه لما اورد « لا » النافية للعموم وذكر اياتا لبعض المعترضين على وجوب تكرار « لا » ادعى ان ذلك ضرورة . فامتنع من الشعر جائز واستشهدا غير باطل وتلك لغة فوضى وحكم لا يرضى .

ان اعظم ادلة العلماء في « ولا سيما » امتدت الى قول امرئ القيس :

ألا رب يوم لي من البيض صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل



وقد عثرت على قول أبي سفيان يوم السقيفة :

بني هاشم لا تطعموا الناس فيكم « ولا سيما » تيم بن مرة أو عدي
فهذان القولان أقدم الأوال وغيرهما مقيس عليهما ومأخوذ منهما. ومتى
فسرنا البيتين تفسيراً بعيداً عن التعسف ذهب التكلف والتحريف والتطرف. فأحسن
تفسير توصلت إليه للبيت الأول هو :

« مرت بي أيام ذات صلاح ونعيم. ولا مماثل ليوم داره جليل في صلاحه
ونعيمه ». ومعنى البيت الثاني :

« يا أبناء هاشم لا تتركوا بحالا لطعم الناس فيكم ولا مثل لتيم بن مرة
وعدي في طعمهما » فالقارى يرى أن « لام الجر » حلت محل « ما » فاستقام
المعنى استقامة ثلثة. ويرى أن جلته « ولا سيما » استدراكية فكأنه قال :
« الناس طاعمون فيكم ولكن تيماً وعدياً اطعم الناس ». ويرى أيضاً أن الجملة
مستأنفة ولم يرتبطها بسابقتها إلا المعنى . ولو لم تكن مستأنفة لتعذر التفسير
وارتباك التقدير وتفهم التفسير . فما أسمع أن يقال : « مرت بي أيام ذات صلاح
ونعيم لا تشبه يوم داره جليل لأنه ذو صلاح كثير ونعيم غزير » : لأنه لا
ينطبق على البيت فأى كلام فسروه به (لا تشبه) ؟ انهم الصقوا ذلك تقويماً
لاود تفسيرهم . قال الشاعر قال (ولا سي) أي « ولا شبهه أو مثل » بالتفاضي
عن الجملة السابقة وبالرغبة في الاستدراك .

الأعراب

الواو : حرف امتثاف واجب الذكر لأن المعنى لا يتم أبداً إلا بالاستثناف
كما رأينا . وتضمر الواو وجوباً في ما حذف من قديمها .
لا : نافية للجنس لا يجوز حذفها أبداً ذهباً إلى الفصاحة واتباعاً لأصح
ناطقين « ولا سيما » .

سي : اسم « لا » مبني على الفتح بمعنى « مثل أو مماثل » ولا يجوز تخفيف
الياء أبداً حفظاً لأصلها الصحيح .

ما : حرف زائد حل محل « لام الجر » المحذوفة لضرورة الشعر ولكون
الأسنة والأذواق قد افتتحت حسن وضعها .

يوم : مجرور وجوبا باللام المعنوية والتقدير : « لا مثل ليوم بدارة جلجل
في الصلاح والنعيم » والجار والمجرور في محل رفع خبر « لا » النافية للجنس .

تبرير هذا التقدير

قال العرب (فتى ولا كمالك) أي « فتى ولا مثل مالك في الفضل والشجاعة »
ولكنهم حنفوا آخر الجملة لأن لهم أذواقا حساسة ، وإيجازا جيلا . وقالوا :
« أبا خراشة إما أنت ذا نفر » والأصل « إن كنت ذا نفر » ولكنهم حنفوا
« كان » وأحووا محلها « ما » . ولذلك لا خرج علينا في إحلال « ما » محل « لام
الجر المعنوية » تجنبنا للتعسف والتقديرات الغريبة وتحريبا للمعنى الصحيح
وقلتا لتبيل العلماء وتناقضاتهم واختصاصا بذهب واحد ينطبق على كلام
الجاهليين والفصحاء المتوسطين والمولدين .

تطبيقات على أحوال « ولا سيما »

١- قد يحذف خبر « لا » فتدخل « ولا سيما » على الجار والمجرور مثل :
« يستحسن أطعام اليتامى ولا سيما في أيام ذات مسغبة » والتقدير : « ولا سيما
أو « ولا مثل » للأطعام في أيام ذات مجاعة » .

٢- قد حذف واو « ولا سيما » عند المولدين ولكنهم كانوا جسدرا
بإثباتها اتباعا لمن قبلهم من الفصحاء . ولذلك يجب اظهارها عند اعراب كلامهم .
قال ابن أبي الحديد في الشرح : « ولا ريب أن محمدا عليه السلام وأهله الأذنين
من بني هاشم « لا سيما » علي عليه السلام انعموا على الخلق » والتقدير « ولا
مثل لعلي في الانعام » في بني هاشم وأهل محمد الأذنين . وحملته فيها تقديم وتأخير
والأصل : « قد انعموا على الخلق لا سيما علي عليه السلام » .

٣- قد يحذف خبر « لا » وتحذف الواو وتدخل « لا سيما » على حرف
يليه فعل قال ابن أبي الحديد « وابن هذا من باب حمل المطلق على المقيد « لا
سيما » وقد ثبت أن التعليل « والتقدير « ولا مثل لقولي أو لا تكاري لأن
ثبوت التعليل . الخ » قالوا (واو التعليل) لا محالة ومن الأمثلة على ثبوت
قولي بأن الواو للتعليل قولهم :

٤- « الكتاب جيد لاسيما والموضوع موضوع عصري » والتقدير (الكتاب
جيد ولا مثل لجودته لأن الموضوع عصري » فالقاري يرى أن الواو احتلت



حل « لام التعليل » من دون شك أو تكلف .

٥- تدخل على الظرف مثل « المطالعة مفيدة ولا سيما قبل الظهر » والتقدير « ولا مماثل لفائدتها قبل الظهر » .

دحض حجج التبليين والتناقضين

١- قال العلماء (خبر النافية محذوف والتقدير « موجود أو كائن » قلت لو وضناه به مثلي الأخير لصارت الجملة « المطالعة جيدة ولا مثيل قبل الظهر موجود » وهي ناقصة تحتاج الى زيادة « لجودتها » اي الخبر الذي قدرته انا فنكون « ولا مثيل لجودتها قبل الظهر » فقولي هو الراجح الرابع ؛ بحذف « موجود » الزائد .

٢- وقالوا « ما » اسم ، وصول مضاف اليه والاسم بعدها خبر لمبتدأ محذوف . قلت ذلك خطأ لان « لا » يجب ان يكون اسمها نكرة وهم اضافوه الى المعرفة فصار معرفة ولا يجوز ان تعبت بقواعد لغة العرب من اجل تبرير قولهم . اما رفعهم الاسم فيعطل بقول القائل « الكتاب جيد لا سيما والموضوع موضوع عصري » اذ ليس في الكلام خبر حتى يتمر والمبتدأ . ولا تصلح « ما » لان تكون موصولة اذ لا صلة لها ابدا . ولو حذفوا الواو وقدروا المبتدأ لصارت الجملة « الكتاب جيد ولا مثيل موجود هو الموضوع موضوع عصري » وليس لها معنى مقبول ولا مبنى صحيح فالصواب ما تقدمت في تقدير هذه الجملة .

٣- وقالوا « ما » نكرة تامة مضاف اليها والمبتدأ المحذوف والخبر الموجود صفة لها . قلت هذا لا يجوز ابدا فابن ابي الحديد قال « لا سيما وقد ثبت » فأين الخبر حتى نقدر له مبتدأ ؟ ولو قدرنا كليهما فما معنى « لا مماثل موجود هو كلام وقد ثبت » ؟ فالصواب ما قلت وما قدرت آنفا .

(٤) وقالوا (ان الاسم الواقع بعد « لا سيما » يكون مضافا اليه اذا كان نكرة باعتبار « ما » زائدة وسي مضاف . قلت ذلك جيد ولكنه لا يمكن تطبيقه في كل الاحوال ولذلك تعود الى التبلييل باثباته . وقلنا : « ولا مثيل ليوم بدارة جلجل » اصح من قولنا : « ولا مثيل ليوم بدارة جلجل موجود » . ومن جملة « تميزا » فهو متبلييل ايضا لان خير قاعدة ما كانت عامة منطبقة على جزئياتها تمام الانطباق . اضف الى ذلك أنه غير مألوف لبيده عن الصواب .

مصطفى جواد

الكاملية